المقدمة

تأمّل وفكّر في الأمر. تُرى ما كان الخيال الذي يطرأ على ذهنك أثناء مرحلة الطفولة حينما يقول أحد، «فُلك نوح»؟

فقد تكون كأغلبية البشر، لديك تَصَوُّرًا بأن الفُلك له أبعاد وهيئة بانيو قائم على أربعة أقدام مخلبية الشكل، مع منزل مُثبّت على قمّته. فربما يكون أو قد لا يكون نوح وعائلته واقفين عند الدرابزين، ولكن من المؤكد أنك سترى ظرافة تتطلّع من فوق سطح المنزل.

وعلى نحو ما يحمله ذلك من ذكرى طيبة، فعلى النقيض يرى Ken Ham من هيئة أجوبة من سفر التكوين Answers In Genesis ، أن خيال الفُلك المصاحب للطفولة، يُمَثِّل مشكلة للمسيحيين.

«فما يحدث اليوم، هو أننا لدينا أجيالًا كاملة، تبلغ النضج في الكنيسة ويُعيدون النظر فيما تعلّموه من الكتاب المقدّس كمجموعة من القصص. لأنه حينما يلتحق أغلبيتهم بالمدارس العامة، حتى ممن يترددون على الكنيسة، فأنهم ينالون تعليمًا عن الديناصورات، والحفريات، والوادي المُسمّى؛ الأخدود الكبير أو Grand Canyon ، ويَتبَلوَر لديهم الفكر، بأن ما يتعلّموه في المدرسة هو الواقع الحقيقي، بينما ما يتعلّموه في الكنيسة هو مجرد روايات في الكتاب المقدّس. وواحدة من تلك الروايات في الكتاب المقدّس هي فُلك نوح، وهو مجرد فُلك صغير، بانيو جميل، إلى آخره. يقول Ken ham ، «أننا في حاجة إلى تعليم أطفالنا، أن فُلك نوح كان سفينة حقيقية كما يَصفها الكتاب المقدّس.»

ويستطرد John Whitcomb قائلًا، «إن المشكلة الرئيسية في اعتقاد البشر بحدوث طوفان عالمي، تَكمُن في الفُلك.» إذا لم يتقبّل البشر الفُلك والطوفان كحقيقة واقعية، سيؤدّي هذا بدوره إلى شكوك تجاه الكتاب المقدّس.

الكلمة الخالدة «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ.» (يوحنا ١:١)

الفصل الأول

التوجيه الكتابي

الكلمة صار جسدًا– وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا.

يوحنا ١ : ١٤

الكلمة

إن الكتاب المقدّس نفسه، يشهد بأنه كلمة اللّه. ويُقر هذا الأمر أكثر من ٣٠٠٠ مرة. قد تحمل تلك الإفادة نوعًا من الغطرسة في رأي بعض الناس، على أنها قد تكون أو لا تكون صحيحة.

إن الكتاب المقدّس يحتل الصدارة الأولى بين كافة الكتب الأخرى، كَونِه الكتاب الأكثر رواجًا على مستوى العالم، إلا أنه أيضًا أكثرها حَظْرًا. فلم يكن تدوينه كأي كتاب آخر، حيث قام بنسخه أكثر من ٤٠ كاتب على مدى يتجاوز ألف عام، ومع هذا توافقت كتاباتهم جميعًا في الإشارة إلى أكثر شخصية كان لها تأثيرًا على وجه الحياة قاطبَة، ألا وهو يسوع المسيح الناصري. فمئات النبوات تَحَقّقت بدقة شديدة فيما يخص حياته، وموته، وقيامته.

يتوافق أغلبية البشر مع تعاليم يسوع، على أن الأقلية تَتَقبّل هويّته. فلماذا؟ إن البشر بطبيعة الحال قد يتعلّقون ببعض الجوانب بينما يلفظون الأخرى. «إنني أعتقد أنه مُعلّم صالح، ولكنني لا أُومن أنه اللّه بالفعل.» وبالطبع ليس هذا هو الإيمان المسيحي.

فَكِّر فقط، أننا نستطيع أن نرى كافة الأشياء لأن اللّه قال في بدء الأمر، «لِيَكُنْ نُورٌ» وبعدها هو ذاته نفس الإله الذي استخدم كلمات ليخلق بها الكون، استخدم أيضًا كلمات لصياغة الكتاب المقدّس. فكلمات سفر التكوين تُعلن أن اللّه أرشد نوح لبناء سفينة لكي ينجو من الطوفان العالمي. وكلاً من السيد المسيح والرسول بطرس يؤّكدان هذا الأمر من واقع كتابات العهد الجديد.

الطوفان يُبيد ويُهلك «فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الأَرْضِ يَمُوتُ. وَلَكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ.» (تكوين ٦:١٧-١٨)

القبول

كما أن البعض لا يستطيعون قبول الرب يسوع من حيث أنه الخالق ومُخَلِّص العالم، كذلك هناك آخرون لا يستطيعون قبول أن الكتاب المقدّس مُوحى به بالكامل من قِبَل اللّه.

إن كلمة اللّه؛ الكتاب المقدّس، كان عُرْضَة للهجوم لآلاف السنين. لقد حاول الرومان القضاء عليه، بينما حاول القادة الدينيون إخفاءه عن العامة أثناء فترات العصور المُظلمة. وما زال العديد حتى يومنا الحاضر يحاولون إقصاءه، أو تشويهه ليبدو وكأنه مليئٌ بالأخطاء (وهي وسيلة أخرى من الإقصاء).

إن مجالاً مُحدّدًا ما يزال عُرْضَة للهجوم، هو قصة نوح والطوفان. فالطوفان العالمي هو أمر غير قابل للإنكار وفقًا للكتاب المقدّس، وهو أفضل ما يُعطي تفسيرًا للحفريات المدفونة في الطبقات الصخرية في جميع أنحاء العالم. ومع ذلك فإن المُشَكّكين يُثيرون جدلًا صائحين، «لا يمكن أن يكون طوفانًا عالميًا قد حدث على الإطلاق، كما لم يكن في امكانية نوح أن يُوفّر مكانًا يسع جميع الحيوانات على متن الفُلك.»

إن واقعة الطوفان الذي شمل الكون لا تُمَثّل نقطة ضعف بالكتاب المقدّس. بل على العكس تمامًا. فإنها نقطة محورية في استيعاب علم الأحياء، والجيولوجيا، وتاريخ الحضارات. ففي الواقع، لو لم يكن قد حَلّ علينا الطوفان، لكان قدر إلمامنا بالديناصورات ضئيلًا للغاية. فإن الإنسان كان ليقتُلها دون أن يترك لها آثرًا، بل تاركًا فقط أساطيرًا عنها، ولكن دون حفريات.

إنه فقط في المائتين عامًا الماضية، بدأ المسيحيون ينجرفون وراء الأفكار الدنيوية وتراجعوا عن فكرة الطوفان الذي حَلّ، كما لو كانت القصة التي يُعلنها الكتاب المقدّس، قد تُسبّب لهم نوعًا من الحرج. إلا أن الكتاب المقدّس يُخبرنا بتاريخ الأرض الحقيقي، ويجب علينا التبشير به بحماس أكثر من أي وقت مضى. إن مرجعية العلم السليم تعتمد على مصداقية الكتاب المقدّس.

في المرة القادمة حينما تمشي على الطريق، فكّر فقط، بأنه من المحتمل أن تكون سائرًا على طبقات قد تَرَسّبت وتَرَسّخت بفعل الطوفان. فهي لم تحدث فقط كما أعلن الكتاب المقدّس، ولكنها قد تكون أيضًا مرتبطة للغاية بحياتنا اليوم. لقد أدان اللّه الأرض حقًا، وهناك دينونة أخرى عَتيدة أن تصير.

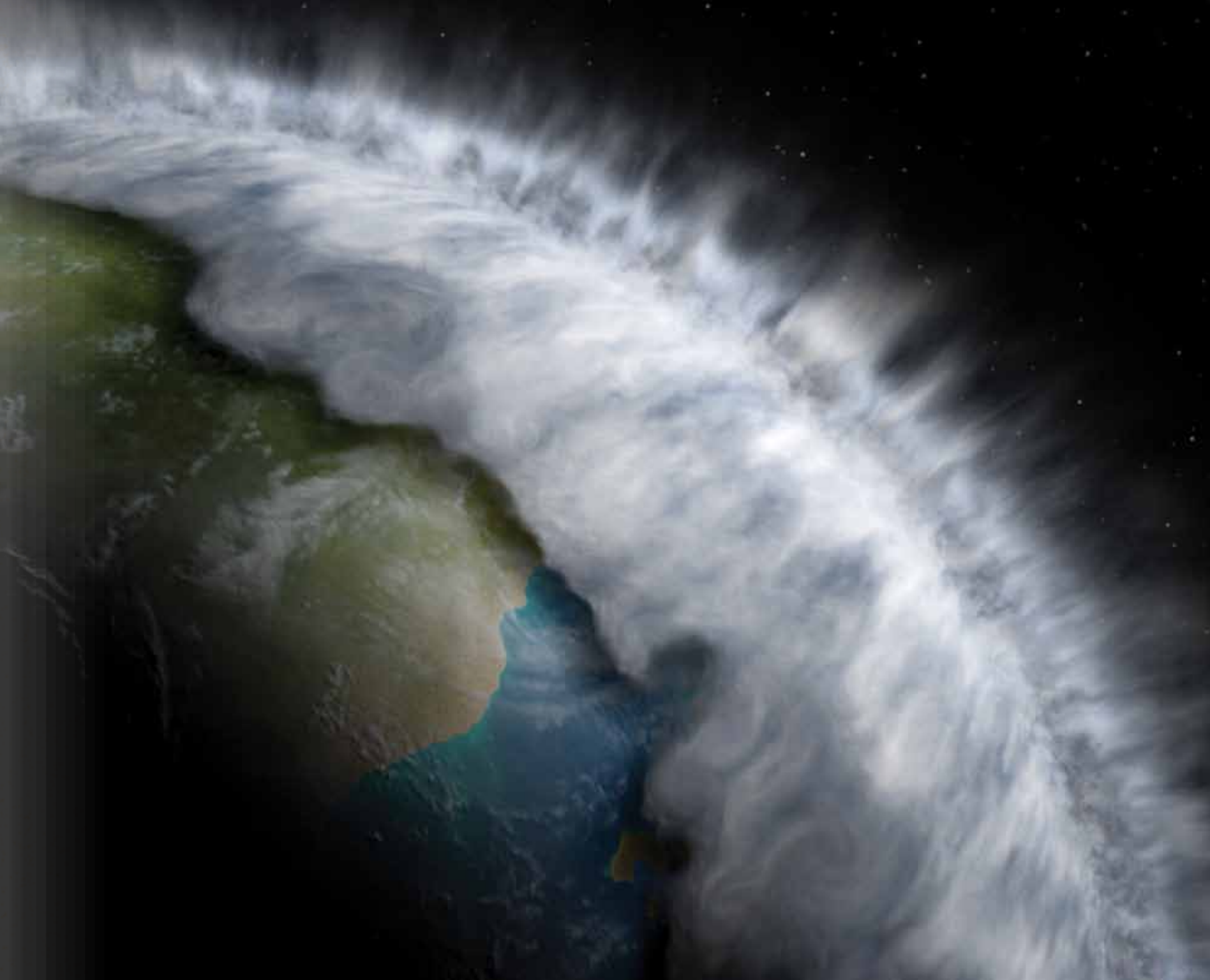

الدمار

«وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ: الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ. لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ». وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. « (تكوين ٦:٥-٨)

إن تلك الشواهد تتحّدث عن نفسها. فكنتيجة لِشَرْ الإنسان، أدان اللّه الجنس البشري بالكامل. وبقدر ما كان الدمار قاسيًا، لم تكن هناك نفسًا حية بلا عُذْر. ولقد سَخّر اللّه الطوفان أيضًا، ليَفْصِل ويحفظ هؤلاء ممن آمنوا به، دون من لم يؤمنوا. فعلى مر تعاملات اللّه عبر التاريخ وعبر الكتاب المقدّس، كانت تحدث هذه الدورة وقتًا بعد وقت: انفصال، ثم تطهير، ثم دينونة، ثم فداء.

فبدون اللّه، وبدون المعرفة الحقيقية وفهم الكتاب المقدّس، الذي يُعلن تاريخ العالم الحقيقي، يكون الإنسان عُرضَة للسقوط وارتكاب نفس الأخطاء مرارًا وتكرارًا.

إن كل نفس بشرية على وجه الأرض صارت إلى حال أردأ نتيجة الشر الكامن داخل قلبها، أما نوح فبسبب صلاحه أمام الرب، فقد حفظه من الدينونة، هو وكل من زوجته، وأبناءه، وزوجاتهم. ولقد كانت سفينة خلاص الرب لنوح وعائلته، هي الفُلك.

«... انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ.» (تكوين ٧:١١)
يُعد هذا وصفًا لتشوه كارثي في طبقات الأرض، حسب آلية لتفسير الطوفان اقترحها د. JOHN BAUMGARDNER. وفيه ينفتح صدع كاشفًا المعادن المنصهرة، مسببًا تبخر مياه البحار، وتصاعد المياه عاليًا في الغلاف الجوي. قد يفسر هذا تغيّر منسوب البحار، و«الأمطار» الغزيرة الكافية لإغراق قارات بأكملها